

أضواء البيان

@ 202 ، كما ترى . ومعلوم أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل بالفرق بينهما ، بل قال : إن حكم تحريم الزوجة ، كحكم تحريم الجارية المنصوص في آية (التحريم) ، ونحن نقول : إن آية الطهارة تدلّ بفحواها على أن تحريم الزوجة طهارة ؛ لأن أنت عليّ كظهر أمي ، وأنت عليّ حرام معناه واحد ، كما لا يخفى . وعلى هذا الذي ذكرنا ، فلا يصح الطهارة من الأمّة ، وإنما يلزم في تحريمها بطهارة ، أو بصريح التحريم كفارة يمين أو الاستغفار ، كما تقدّم . وهذا أقرب لظاهر القرآن ، وإن كان كثير من العلماء على خلافه . . . وقد قدّمنا أن تحريم الرجل امرأته فيه للعلماء عشرون قولاً ، وسنذكرها هنا باختصار ونبيّن ما يظهر لنا رجحانه بالدليل منها ، إن شاء الله تعالى . . .

القول الأول : هو أن تحريم الرجل امرأته لغو باطل ، لا يترتب عليه شيء . قال ابن القيم في (إعلام الموقعين) : وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ، وبه قال مسروق ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعطاء ، والشعبي ، وداود ، وجميع أهل الظاهر ، وأكثر أصحاب الحديث ، وهو أحد قولي المالكية ، اختاره أصبغ بن الفرج . وفي الصحيح عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يقول : إذا حرم الرجل امرأته ، فليس بشيء { لَّيْسَ بِشَيْءٍ } كَأَنَّ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ { ، وصحّ عن مسروق أنّه قال : ما أبالي أحرمت امرأتي أو قصعة من ثريد . وصح عن الشعبي في تحريم المرأة : لهو أهون عليّ من نعلي . وقال أبو سلمة : ما أبالي أحرمت امرأتي أو حرمت ماء النهر . وقال الحجاج بن منهال : إن رجلاً جعل امرأته عليه حراماً ، فسأل عن ذلك حميد بن عبد الرحمن ، فقال حميد : قال الله تعالى : { فَلَا ذَا فَرْعَ غَتَ فَاَنْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } ، وأنت رجل تلعب ، فاذهب فאלعب ، اه منه . . .

واستدلّ أهل هذا القول بقوله تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ السَّادِّينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ } ، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا السَّادِّينَ ءَامِنُوا بِاللَّهِ تَحَرَّمُوا طَافِيئَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } . وعموم قوله تعالى : { قُلْ هَلْ أَعْلَمُ شَهَادَاتِكُمْ إِلَّا السَّادِّينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَهُمْ } . وعموم قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } ، وعموم قوله صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا ، فهو ردد) ، ومعلوم أن تحريم ما أحلّ

اللّٰهُ لَيْسَ مِنْ أَمْرِنَا .